

سورة الأحزاب

معانى الكلمات :

أدعياءكم : مفردها دعى ، وهو من ينسب لغير أبيه .

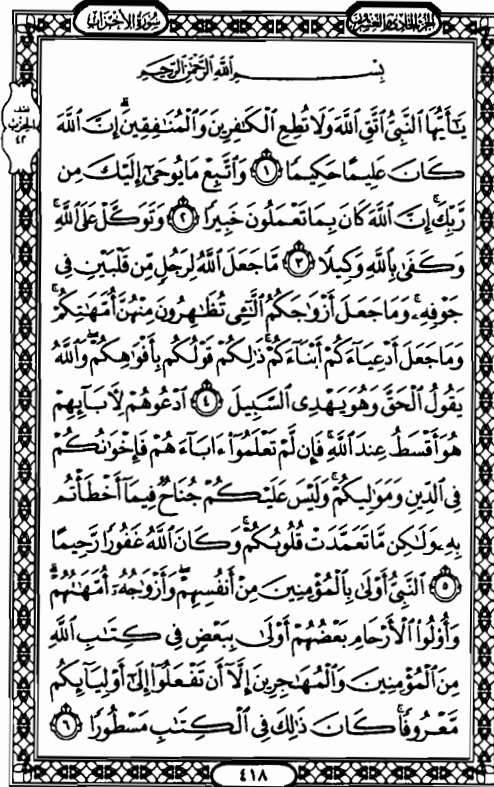
أقسط : أعدل .

جناح : ذنب .

أولى بالمؤمنين : أقرب أقربائهم .

أولو الأرحام : أهل القرابات .

أولى ببعض : أحق بالإرث .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يعلم المؤمن بعض أحكام الأسرة فى القرآن .
- ٢ - أن يشعر المؤمن بعظمة التشريعات القرآنية .
- ٣ - أن يطبق المؤمن التشريعات الربانية فى حياته ويلتزم بها .

المحتوى التربوى :

سورة الأحزاب سورة مدنية آياتها ثلاث وسبعون آية تتناول قطاعاً حقيقياً من حياة الجماعة المسلمة تمتد من بعد غزوة بدر الكبرى إلى ما قبل صلح الحديبية ، وهى سورة مزدحة بالأحداث والتنظيمات والتشريعات ، وهى تتناول جانباً كبيراً من إعادة تنظيم الجماعة المسلمة كما تتناول تعديل الأوضاع والتقاليد ، كما يرد فى ثنايا ذلك الحديث عن غزوة الأحزاب وغزوة بنى قريظة ، وما حدث للجماعة المسلمة فيها .

وتبدأ السورة ذلك البدء بتوجيه الرسول ﷺ إلى تقوى الله ، وعدم الطاعة للكافرين والمنافقين واتباع ما يوحى إليه ربه والتوكل عليه وحده وهو البدء الذى يربط سائر ما ورد فى السورة من تنظيمات وأحداث بالأصل الكبير الذى تقوم عليه شرائع الدين وتوجيهاته ونظمه وأوضاعه

وآدابه وأخلاقه .. أصل استشعار القلب لجلال الله والاستسلام المطلق لإرادته واتباع المنهج الذى اختاره والتوكل عليه وحده والاطمئنان إلى حمايته ونصرته .

يقول صاحب الأساس : « إن مجموع الأوامر التى صدرت لرسول الله ﷺ ولأمرته من خلال شخصه الكريم فى هذه الآيات هى التقوى ، وترك طاعة الكافرين والمنافقين واتباع الوحي والتوكل والصلة بين هذه الأوامر واضحة . فالتقوى لا تكون مع طاعة الكافرين والمنافقين . إذ الكافرون والمنافقون يرغبون أن يحرفوا المؤمنين والتقوى واتباع الوحي متلازمان كما ورد فى أول آية من سورة البقرة : ﴿ التَّوَكَّلْ ذَلِكَ الْكُتُبُ لَا رَبَّ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة) ... وإذا استقرت هذه المعانى يبدأ السياق بهدم قاعدة التبنى المتعارف عليها عند العرب والتى كانت عميقة عندهم والتى سترتب عليها قيل وقال ، فناسب ذلك أن يسبق الكلام عنها هذه المقدمة وتلك إحدى حكم وجود هذه المقدمة .

وكذلك تبدأ السورة بوجوب الاستسلام لمشئته الله وقدره ، واتباع منهج الله ، ثم النهى عن طاعة الكافرين والمنافقين ، وهذا النهى قائم فى كل بيئة وكل زمان ، المغزى من ذلك كما يقول صاحب الظلال : « حتى لا ينخدع أحد بما يكون عند الكافرين والمنافقين من ظاهر العلم والتجربة والخبرة - كما يُسَوِّغُ بعض المسلمين لأنفسهم فى فترات الضعف والانحراف ، فإن الله هو العليم الحكيم ، وهو الذى اختار للمؤمنين منهجهم وفق علمه وحكمته : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ وما عند البشر إلا قشور » .

ثم تورد الآيات توجيهها ثالثاً وهو التوكل على الله ورد الأمور إليه ، فهو القاعدة الثابتة المطمئنة التى يفى إليها القلب ، وهذه العناصر الثلاثة : تقوى الله واتباع وحيه ، والتوكل عليه - مع مخالفة الكافرين والمنافقين هى العناصر التى تزود الداعية بالرصيد ، وتقيم الدعوة على منهجها الواضح الخالص من الله . وإلى الله . وعلى الله .

وتختتم التوجيهات بإيقاع حاسم : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ الآية تمثل الإخلاص والتجرد لله ، كما أن للمؤمن قلباً واحداً ، فلا بد له من منهج واحد يسير عليه ، ولا بد له من تصور واحد للحياة ، ولا بد له من ميزان واحد يزن القيم ، ويقوم به الأحداث والأشياء .

ويقول صاحب الظلال : « وبهذا القلب الواحد يعيش فرداً ويعيش فى الأسرة ، ويعيش فى الجماعة ، ويعيش فى الدولة ، ويعيش فى العالم ، ويعيش سرّاً وعلانية ، ويعيش عاملاً وصاحب عمل ، ومن ثم فهو منهج واحد وطريق واحد ، ووحى واحد ، واتجاه واحد ، وهو استسلام لله وحده ، فالقلب الواحد لا يعبد إلهين ، ولا يخدم سيدين ولا ينهج نهجين ولا يتجه اتجاهين ، وما يفعل شيئاً من هذا إلا أن يتمزق ويتفرق ، ولا يتحول إلى أشلاء وركام » .

يقول صاحب الأساس فى تفسيره : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ « هذا توطئة للمقصود فكما لا يكون للشخص قلبان فى جوفه ، وكما لا تصير زوجته التى يظهر منها بقوله : أنت على كظهر أمى أما له ، كذلك لا يصير الدعى ولدًا للرجل إذا تبناه فدعاه ابنا له : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَنْظَهُرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ » .

ثم يأخذ النص القرآنى فى معالجة بعض القضايا فى المجتمع المسلم مثل قضايا الظهار والتبني والمؤاخاة ، والإسلام فى معالجته لهذه القضايا يحرص على الأسرة المسلمة وهى الوحدة الاجتماعية الأولى ويوليها عنايته .

فتحريم الظهار رفع للظلم عن المرأة وإعلاء لمكانتها ، فالزوجة وزوجة والأم أم ، ولا تتحول طبيعة العلاقة بكلمة ، ومن ثم لم يعد الظهار تحريراً أبدياً كتحریم الأم كما كان فى الجاهلية .

وتحريم التبني فيه قسط وعدل أن يدعى الولد لأبيه ، وهذا يجعل التبعات فى الأسرة متوازنة ، ويقيم الأسرة على أساس ثابت دقيق مستمد من الواقع .

يقول صاحب الظلال : « وهذا النص : ﴿ فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ ﴾ يصور لنا حقيقة الخلخلة فى المجتمع الجاهلى ، وحقيقة الفوضى فى العلاقات الجنسية ، هذه الفوضى وتلك الخلخلة التى عاجلها الإسلام بإقامة نظام الأسرة على أساس الأبوة ، وإقامة نظام المجتمع على أساس الأسرة السليمة .

وبعد الاجتهاد فى رد الأنساب إلى حقائقها فليس على المؤمنين من مؤاخذه فى الحالات التى يعجزون عن الاهتداء فيها إلى النسب الصحيح ، وهذه السماحة مردها إلى أن الله سبحانه وتعالى يتصف بالغفران والرحمة » .

وإرساء للمؤاخاة فيه وضع المجتمع الإسلامى على أوضاع مقررة ، فالمهاجرون من مكة للمدينة آخى الرسول بينهم وبين الأنصار ، وصارت المؤاخاة بمقام أخوة الدم ، وارتفع المد الشعورى بين المهاجرين والأنصار لذروة عالية ، . كانت هذه العلاقة ضرورية لحفظ هذه الجماعة الوليدة وتماسكها فى مثل تلك الظروف الاستثنائية المتشابكة التى قامت فيها .

لكن الإسلام مع حفاوته بذلك المد الشعورى إلا أنه حريص على أن يقيم بناءه على أساس الطاقة العادية للنفس البشرية لا على أساس الفورات الاستثنائية ، فيعود لرد الأشياء إلى حالتها الطبيعية فى الجماعة الإسلامية .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن يوجه المسلم حياته على طريق الإسلام ، وأن يدع العادات الباطلة .

٢ - وجوب إخلاص العبادة لله .

معانى الكلمات :

ميثاقاً غليظاً : عهداً مؤكداً .

زاغت الأبصار : حارت من شدة الرعب .

غروراً : باطلاً أو خداعاً .

عورة : غير حصينة .

لو دخلت عليهم من أقطارها : لو هوجت

المدينة من نواحيها .

لا يولون الأدبار : لا يفرون من القتال .

مسؤولاً : جديراً بالوفاء .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن يعرف المؤمن جانباً من رحمة الله بالمؤمنين في سورة الأحزاب .

٢ - أن يشعر المؤمن بالثقة والطمأنينة في نصر الله .

٣ - أن يثبت قلب المؤمن في كل شدة وكل نائبة .

المحتوى التربوى :

يشير السياق إلى ميثاق الله مع النبيين عامة ، والنبي ﷺ وأولى العزم من الرسل خاصة في حل أمانة هذا المنهج ، والاستقامة عليه ، وتبليغه للناس ، والقيام عليه في الأمم التى أرسلوا إليها ، وذلك حتى يكون الناس مسؤولين عن هداهم وضلالهم وإيمانهم وكفرهم ، بعد انقطاع الحجة بتبليغ الرسل عليهم صلوات الله وسلامه .

إنه ميثاق واحد مطرد من لدن نوح عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد ﷺ ميثاق واحد ، ومنهج واحد ، وأمانة واحدة يتسلمها كل منهم حتى يسلمها .

قال النفسى : « وقدّم لرسول الله ﷺ على نوح ومن بعده لأن هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء لأنهم أولو العزم وأصحاب الشرائع فلما كان محمد صلى ﷺ أفضل هؤلاء قدّم عليهم ولولا ذلك لقدّم من قدمه زمانه . وقال ابن كثير : فبدأ فى هذه الآية بالخاتم لشرفه صلوات الله وسلامه عليه ثم رتبهم حسب وجودهم صلوات الله وسلامه عليهم .

يقول صاحب الظلال : « ووصف الميثاق بأنه غليظ منظور فيه إلى الأصل اللغوى للفظ ميثاق - وهو الحبل المفتول - الذى استعير للعهد والرابطة ، وفيه من جانب آخر تجسيم للمعنوى يزيد إيجاء للمشاعر .. وإنه لميثاق غليظ متين ذلك الميثاق بين الله ، والمختارين من عباده ، ليتلقوا وحيه ، ويبلغوا عنه ، ويقوموا على منهجه فى أمانة واستقامة » .

وتشير الآيات لوحدة الرسالة الإنسانية ، وإن الله أخذ الميثاق على الأنبياء بتبليغ الوحى ، وأداء الأمانة ، ويوم القيامة يظهر صدق الصادقين وكذب الكاذبين ، والله عليم بهم وسؤالهم عن صدقهم يوم القيامة كما يسأل المعلم التلميذ النجيب الناجح عن إجابته التى استحق بها النجاح والتفوق أمام المدعوين لحفل النتائج ! سؤال للتكريم والثناء على المستحقين للتكريم .

ثم تواصل الآيات بيان فضل الله على المؤمنين بأن رد عنهم الجيش الذى هم أن يستأصلهم ، وهنا تبرز نعمة الله التى يذكرونها ، ويطلب إليهم أن يتذكروها ، وليظهر أن الله الذى يأمر المؤمنين باتباع وحيه ، والتوكل عليه وحده ، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين ، هو الذى يحمى القائمى على دعوته ومنهجه من عدوان الكافرين والمنافقين .

ولإكمال الصورة تأتى صورة الهول الذى روع المدينة ، والكرب الذى شملها ، والذى لم ينج منه أحد من أهلها ، وقد أطلق عليها المشركون من قريش وغطفان واليهود من بنى قريظة من كل جانب من أعلاها ومن أسفلها ، وهنا لم يختلف الشعور بالكرب والهول فى قلب عن قلب ، وإنما الذى اختلف هو استجابة تلك القلوب ، وظننها بالله ، وسلوكها فى الشدة وتصوراتها للقيم والأسباب والنتائج ، ومن ثم كان الابتلاء كاملاً والامتحان دقيقاً ، والتمييز بين المؤمنين والمنافقين حاسماً لا تردد فيه .

ثم يورد القرآن وصفاً دقيقاً للمنافقين أثناء المعركة كما يقول صاحب الظلال : « فقد هؤلاء فى الكرب المزلة ، والشدة الآخذة بالحناق فرصة للكشف عن خبيثة نفوسهم وهم آمنون من أن يلومهم أحد ، وفرصة للتوهين والتشكيك ، وهم مع هذا منطقيون مع أنفسهم ومشاعرهم ، فلهول قد أزاح عنهم ذلك الستار الرقيق من التجميل ، وروع نفوسهم ترويعاً لا يثبت له إيمانهم المهلهل ، فجهروا بحقيقة ما يشعرون غير مبقيين ولا متجميلين » .

إن النص القرآنى فى عرضه لموقف المؤمنين والمنافقين فى غزوة الأحزاب يصلح للعمل فى وسط وكل زمان كما يقول صاحب الظلال « لم يدع الله المسلمين لهذه المشاعر وحدها تربيتهم ، وتنضج شخصيتهم المسلمة بل أخذهم بالتجارب الواقعية ، والابتلاءات التى تأخذ منهم وتعطى ، وكل ذلك لحكمة يعلمها ، وهو أعلم بمن خلق ، وهو اللطيف الخبير ... » ، النص القرآنى يغفل أسماء الأشخاص ، وأعيان الذوات ، ليصور نماذج البشر ، وأنماط الطباع ، ويغفل تفصيلات الحوادث وجزيئات الواقع ، ليصور القيم الثابتة والسنن الباقية ، هذه التى لا تنتهى انتهاء الحادث ، ولا تنقطع لذهاب الأشخاص ، ولا تنقضى بانقضاء الملابس .

يذكر صاحب الأساس ملاحظة مهمة : « إن القرآن سجل لنا فى كل معركة عبرة رئيسية ، فغزوة بدر عبرتها الرئيسية أن الله نصرأ خاصأ ينزله على عباده المؤمنين ، إذا تحققوا بشروطه ، ولو كانت الموازين العادية للنصر ليست متوفرة ، والعبرة من غزوة أحد أن أى إخلال بطاعة القيادة يترتب عليه خلل ، والعبرة الرئيسية من غزوة الأحزاب أنه متى تألب أعداء الله على المسلمين فإنه سيبيح لهم فرجا من حيث لا يحتسبون إذا ثبتوا وصدقوا ، وعبرة غزوة حنين الرئيسية أن أى خلل نفس تخرج به النفس الإسلامية عن ربانيتها ، واعتمادها على الله وحده يؤدى إلى الهزيمة ، وعبرة غزوة تبوك أن المسلم عليه فى كل حال أن يشارك فى الجهاد مهما كان الوضع قاسيا ، وعبرة صلح الحديبية أن يثق المسلم فى قرار قيادته الإسلامية ، ويسلم له ولو كان غير مرتاح له وفى المقطع الذى مر معنا والذى سجل قصة الأحزاب درس من أعظم دروس الحرب والسلام لهذه الأمة ، فهو درس يرتقى به المسلم إلى الذروة العليا من التقوى إذا تحقق به ، ويتخلص به من رواسب الكفر والنفاق إذا استوعبه والتزمه .

وتحتوى الأحزاب على دروس تربوية كثيرة منها : الانقياد لله ، ومعرفة طريق الصادقين وطريق الكاذبين ، والتأسى بالرسول فى أحواله ، والحذر من المنافقين وغيرها من الدروس .

غزوة الأحزاب أظهرت أن اليهود لا عهد لهم وأن خيانتهم لا عقاب لها إلا بالإعدام وهذا ما فعله رسول الله ﷺ فى بنى قريظة .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويأ :

١ - الحذر من النفاق وأهله .

٢ - أن يتذكر المؤمن دائما نعم الله عليه .

٣ - أن يحسن المؤمن الظن بالله ؛ لأن سوء الظن بالله تعالى كفر ونفاق .

٤ - وجوب الوفاء بالعهد ، ونقض العهد من علامات النفاق .

معانى الكلمات :

يعصمكم : يحميكم .

ولياً : مجيراً .

هلم : تعالوا معنا .

البأس : الحرب والقتال .

سلقوكم : آذوكم .

السنه حداد: السنه سليطة قاطعة كالحديد .

أحبط الله أعمالهم : أبطلها .

لم يذهبوا : لم ينصرفوا .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن يعرف المؤمن جوانب القدوة في رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب .

٢ - أن يستشعر المؤمن عظمة الشخصية المحمدية .

٣ - أن يقتدى المؤمن بسلوك الرسول والمؤمنين في وقت الشدة واليأس .

المحتوى التربوى :

تشير الآيات القرآنية للتسليم لله وأن قدر الله لا راد له فيقول صاحب الظلال : « إن قدر الله هو المسيطر على الأحداث والمصائر ، يدفعها في الطريق المرسوم ، وينتهى بها إلى النهاية المحتومة ، والموت أو القتل قدر لا مفر من لقائه في مواعده ، لا يستقدم لحظة ولا يستأخر . ولن ينفع الفرار في دفع القدر المحتوم عن فارّ ، فإذا فروا فإنهم ملاقون حتفهم المكتوب ، في مواعده القريب وكل موعد في الدنيا قريب وكل متاع فيها قليل ولا عاصم من الله ولا من يحول دون نفاذ مشيئته سواء أراد بهم سوءاً أم أراد بهم رحمة ولا مولى لهم ، ولا نصير من دون الله يحميهم ويمنعهم من قدر الله » .

ثم يعرض القرآن صورة نفسية مبدعة تثير الضحك والسخرية من هذا النموذج المكرر من الناس ، صورة للجبن والانزواء والهلع والفرع في ساعة الشدة ، والانتفاش وسلطة اللسان عند الرخاء ، والشح على الخير والظن ببذل أى جهد فيه .

وهذا النموذج يقول عنه صاحب الظلال : « لا ينقطع في جيل ولا في قبيل فهو موجود دائماً ، وهو شجاع فصيح بارز حيثما كان هناك أمن ورخاء ، وهو جبان صامت منزو حيثما كان شدة وخوف ، وهو شحيح بخيل على الخير وأهل الخير ، لا يبالغ منه إلا سلطة اللسان » .

وتستمر الآيات في تصوير الموقف المخزى للمنافقين فهم يسألون المؤمنين سؤال الغريب عن الغريب في البعد والانفصال . والنجاة من الأهوال .

ثم تواصل الآيات ذكر ما يتعلق في سورة الأحزاب ، ثم التوجيه المستفاد من هذه الغزوة ، وهو كون الرسول قدوة حسنة .

وعن القدوة نورد ما ذكره الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه : « السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة » .

« ونحن لا ننكر أن في تاريخ البشرية - ولا سيما الصفوة من الخلق وهم الأنبياء والمرسلون أناساً فضلاء ذوى أخلاق ودين - وهداة ومصلحين ، وعلماء وحكماء ، ومشرعين وفقهاء ، وملوكاً ، ملؤوا الدنيا عدلاً ، بعد أن ملئت جوراً ، ورجالا أوفياء لا يغدرون ولا يخونون ، سادة قادة ، ساسة عابرة وقواداً شجعاناً ، وأبطالاً لا يرهبون الموت ، وأن البشرية لا تخلو في أى عصر من أمثال هؤلاء » .

ولكن الذى نلاحظه أنه لا يوجد رجل اجتمعت فيه كل هذه الصفات والمميزات مثل ما اجتمعت في نبينا محمد ﷺ ، ولا نكاد نعرف أحداً كمله الله بكل فضيلة ، ونزّهه عن كل رذيلة ، مثل ما عرفنا ذلك لرسولنا محمد ﷺ .

وليس العجيب من اجتماع هذه الصفات فيه ، وإنما العجب حقاً أنها فيه على سواء ، فلا صفة تطفئ على أخرى حتى تكاد تطمسها ، ولا خلق يربو على آخر حتى يكاد يخفى معالمه ، وإنما هي صفات وزنت بميزان عادل لا يعول ، وأخلاق حسبت بحساب دقيق لا يضل .

لقد كان من من الله على المؤمنين أن الرسول ﷺ جمعت سيرته ، كل كلمة ، كل لمحة بل الضجعة والأكله والشربة حتى يقتدى به المؤمنون في كل أحوالهم » .

ثم يتابع السياق القرآنى ذكر قصة الأحزاب وثقة المؤمنين بالله عز وجل ، والثقة ببشارة الرسول ﷺ لهم ، تلك البشارة التى تتجاوز الموقف كله إلى فتوح اليمن والشام والمغرب والمشرق - على الرغم من هذا كله ، فإن الهول الذى كان حاضراً يواجههم كان يزلزلهم ويزعجهم ويكرب أنفاسهم ، ويبرز صاحب الظلال حالتهم بقوله : « وما يصور هذه الحالة أبلغ تصوير خبر حذيفة والرسول ﷺ يحس حالة أصحابه ، ويرى نفوسهم من داخلها ، فيقول : « من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ، يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة أسأل الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة ، ومع هذا الشرط بالرجعة ، ومع الدعاء المضمون بالرفق مع رسول الله فى الجنة ؛ فإن أحداً لا يلبى النداء ، فإذا عين بالاسم حذيفة ، قال : فلم يكن لى من القوم حين يدعونى ! ألا إن هذا لا يقع إلا فى أقصى درجات الزلزلة » .

ولقد اتخذ المؤمنون من شعورهم بالزلزلة فى انتظار النصر ، ذلك أنهم صدقوا قول الله سبحانه من قبل : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَكْبِهِمْ أَلْبَاسًا وَأَصْرَارًا وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة : ٢١٤) .

وقد استنبط صاحب الأساس عدة فوائد منها :

« ١ - عبرة الأحزاب الرئيسية أنه متى تألب أعداء الله على المسلمين فإنه سبيعت لهم فرجاً من حيث لا يحتسبون إذا ثبتوا وصدقوا .

٢ - ومن دروس المقطع أنه أعطانا صورة من النفاق فى ساعات المحنة : شك فى موعود الله ، بتيئيس للمسلمين ، استعداد للكفر ، نقص للعهد ...

٣ - من مواطن الخطأ فى الفهم ما فهمه بعضهم من قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِرَبِّ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ ﴾ إذ فهم بعضهم أن من فرّ من الموت أو القتل يزيد عمره وهو فهم مخالف للنصوص والإجماع ولم يقل به إلا المعتزلة إذ النصوص كثيرة فى أن الإنسان لا يموت ولا يقتل إلا بأجله » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - التضرع والإقبال على الله عز وجل من أسباب النصر .

٢ - وجوب الاقتداء برسول الله فى كل ما يطيقه العبد المسلم ويقدر عليه .

٣ - حسن الظن بالله يمدوح وأن سوء الظن به تعالى كفر ونفاق .

معانى الكلمات :

قضى نحبه : مات شهيداً .

ينتظر : ينتظر الشهادة .

ينالوا خيرا : يحصلوا نصرا .

الذين ظاهروهم : يهود بنى قريظة .

صياصيمهم : حصونهم .

تطوؤهم : تدوسوها .

أسرحكن : أطلقكن .

فاحشة مبينة : معصية ظاهرة .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يعلم المسلم بعض جوانب القدوة في الصحابة رضوان الله عليهم .
- ٢ - أن يشعر المسلم بسمو التربية النبوية للصحابة رضوان الله عليهم .
- ٣ - أن يجاهد المسلم في سبيل الله ما استطاع بالنفس ، بالمال ، أو بغير ذلك من أنواع الجهاد .

المحتوى التربوى :

يواصل النسق القرآنى ذكر المؤمنين وصدقهم مع الله عز وجل ، فهم كتيبة واحدة عيونهم على النصر والشهادة لم تتغير مبادئهم ، ولا عقائدهم يرجون الله عز وجل أن يقر أعينهم بالشهادة التى حازها إخوانهم .

ومن شأن اختبار المؤمنين تمييز الصادق من الكاذب ، وذلك لرد الأمور إلى الله فهو المتصرف فى الأمر كله إلى الله ، وتكشف عن حكمة الأحداث والوقائع ، فليس شىء منها عبثا ولا مصادفة ، إنما تقع وفق حكمة مقدره ، وتدبير قاصد وتنتهى إلى ما شاء الله من العواقب ، وفيها تتجلى رحمة الله بعباده ، ورحمته ومغفرته أقرب وأكبر .

ثم ذكر الله منته وفضله فى رد الكفار عن المؤمنين ، وعادوا بغيظهم وحقدهم مدحورين مهزومين ، وهنا يظهر فضل الله ، ويقر المؤمن بأن المقادير بيد الله يصرفها كما يشاء وفق حكمته وإرادته ، وهذا ما ينبغى أن يكون عليه التصور الإنسانى للأمور كلها .

ثم تحدث الآيات عن موقف اليهود وعقاب الله لهم وكما أكمل الله النعمة للمؤمنين برد الأحزاب بأن طرد اليهود من حصونهم ، وألقى الله فى قلوب اليهود سلاح الرعب ، وأسر المسلمون نساءهم وذرايرهم وقتل رجالهم ، وأنعم الله على المؤمنين بأرضهم وديارهم .

كل هذا الفضل والإنعام على المؤمنين بسبب الطاعة لله والثقة بنصر الله ووعد ، وإنها لنموذج حتى للمؤمنين فى كل مكان وزمان للمؤمنين الذين تحيط بهم الأخطار بأن الله معهم ، يكلؤهم بعنايته ، ويحوطهم بحمايته فالله لديه القدرة والتمكين .

وبعد انتهاء الحديث عن قصة الأحزاب ، وبيان فضل الله فى حفظ الدولة المسلمة تنتقل الآيات إلى ما يحفظ المجتمع المسلم من داخله بآتى التخيير اللتين تحددان الطريق ، فإما الحياة الدنيا وزينتها ، وإما الله ورسوله والدار الآخرة ، فالقلب الواحد لا يسع تصورين للحياة .

إن هذا الحادث يحتاج لتدبر كما يقول صاحب الظلال : « إنه يحدد التصور الإسلامى للقيم ، ويرسم الطريق الشعورى للإحساس بالدنيا والآخرة ، ويحسم فى القلب المسلم كل أرجحة وكل لجلجة من قيم الدنيا وقيم الآخرة .

هذا من جانب ومن الجانب الآخر يصور لنا هذا الحادث حقيقة حياة رسول الله ﷺ والذين عاشوا معه اتصلوا به ، وأجل ما فى هذه الحقيقة أن تلك الحياة كانت حياة إنسان وحياة ناس من البشر ، لم يتجددوا من بشرتهم ومشاعرهم وسماتهم الإنسانية » .

وكثيراً ما نخطئ نحن حين نصور النبى ﷺ وصحابته - رضوان الله عليهم - صورة غير حقيقية أو غير كاملة ، فنجردهم فيها من كل المشاعر والعواطف البشرية ، حاسبين أننا نرفعهم بهذا ونزهرهم عما نعدده نحن نقصاً وضعفاً .

وهذا الخطأ يرسم لهم صورة غير واقعية ، صورة ملفقة بهالات ضخمة تشعروا أنهم ملائكة ، وهذه الصورة تجمعنا نياس من الاقتداء بهم ، وهنا تفقد سيرة النبى ﷺ أهم عنصر محرك ، وهو استجاشة مشاعرنا للتحرك والاتباع .

حكمة الله واضحة فى أن يختار رسله من البشر ، لا من الملائكة ولا من أى خلق آخر غير البشر ، كى تبقى الصلة الحقيقية بين حياة الرسل وحياة أتباعهم قائمة ، ونلاحظ فى قصة التخيير الرغبات الطبيعية فى نفوس أزواج النبى ﷺ ثم ترتفع نفوس أزواج النبى ﷺ عن هذه الرغبات عن اختيار لا إجبار .

ثم يأتى النص القرآنى بتوجيه لأزواج النبى ﷺ أن المعصية منهن عقوبتها مضاعفة ، لأنهن فى مقام كريم ، وهذا تذكير للدعاة أن يتجنبوا الذنوب ، فالذنب منهم أقدح .

يقول صاحب الظلال على المعركة : « إن النص القرآنى يغفل أسماء الأشخاص وأعيان الذوات ؛ ليصور نماذج البشر وأنماط الطباع ويغفل تفصيلات الحوادث وجزئيات الوقائع ليصور القيم الثابتة والسنن الباقية . هذه التى لا تنتهى بانتهاء الحادث ولا تنقطع بذهاب الأشخاص ولا تنقضى بانقضاء الملابس ، ومن ثم تبقى قاعدة ومثلاً لكل جيل وكل قبيلة ، ويحفل بربط المواقف والحوادث بقدر الله المسيطر على الأحداث والأشخاص ويظهر فيها يد الله قادرة وتديره اللطيف ، ويقف عند كل مرحلة فى المعركة للتوجيه والتعقيب والربط بالأصل الكبير » .

إن النص القرآنى معد للعمل لا فى وسط أولئك الذين عاصروا الحادث وشاهدوه فحسب ، ولكن كذلك للعمل فى كل وسط بعد ذلك ، وفى كل تاريخ معد للعمل فى النفس البشرية إطلاقاً كلما واجهت مثل ذلك الحادث أو شبهة فى الآماد الطويلة والبيئات المتنوعة بنفس القوة التى عمل بها فى الجماعة الأولى .

إن القرآن ليس كتاباً للتلاوة ولا للثقافة .. وكفى .. إنها هو رصيد من الحيوية الدافعة وإيجاء متجدد فى المواقف والحوادث ! ونصوص مهياة للعمل فى كل لحظة متى وجد القلب الذى يتعاطف معه ويتجاوب ووجد الظرف الذى يطلق الطاقة المكنونة فى تلك النصوص ذات السر المعجب .

وإن الإنسان ليقراً النص القرآنى مئات المرات ثم يقف الموقف أو يواجه الحادث فإذا النص القرآنى جديد يوحى إليه بما لم يوح من قبل ويوجب على السؤال الحائر ويفتى فى المشكلة المعقدة ويكشف الطريق الخافى ويرسم الاتجاه القاصد ويفىء بالقلب إلى اليقين الجازم فى الأمر الذى يوجهه وإلى الاطمئنان العميق وليس ذلك لغير القرآن فى قديم ولا حديث .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن يتذكر المسلم الشهادة وفضلها وأن تكون أسمى أمانيه .

٢ - أن يثبت قلب المؤمن عند كل شدة ، وأن يعى قول الرسول ﷺ : « تعرف على الله وقت الرخاء يعرفك فى الشدة » .

٣ - أن يتقى الدعاة الله فى كل أعمالهم .

معاني الكلمات :

- يقنت منكن : تواظب على طاعة الله .
لا تخضعن بالقول : لا ترفقن القول .
قلن قولاً معروفاً : تكلمن كلاماً جاداً .
قرن في بيوتكن : ابقين .
ولا تبرجن : لا تبدين الزينة الواجب سترها .
الرجس : النقص .
القانتين : العابدين .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن تعلم على المرأة المسلمة ما يجب أن تسلكه في بيتها وتعاملها مع الأجانب .
- ٢ - أن يشعر المسلم بجانب القدوة في سلوك النبي ﷺ في بيته .
- ٣ - أن تسير نساؤنا وأخواتنا وبناتنا على تشريعات الإسلام وتوجيهاته .

المحتوى التربوي :

تواصل الآيات الحديث إلى أمهات المؤمنين ببيان الجزاء المدخر لهن إن اتقين الله ، فالجزاء لهم مضاعف فضلاً من الله ومنه ، والسياق القرآني يعلل مضاعفة العذاب حين المعصية ، ومضاعفة الأجر حين الطاعة هو كونهن لسن كمثل الناس .

قال الإمام الشوكاني في قوله : « ﴿ اتَّقَيْنَ ﴾ » بين سبحانه أن هذه الفضيلة لهن إنما تكون بملازمتهم للتقوى ، لا لمجرد اتصالهن بالنبي ﷺ .

وهذا هو الحق الصارم الحاسم الذي يقوم عليه هذا الدين ، والذي يقرره رسول الله ﷺ وهو ينادي أهله ألا يغرنهم مكانهم من قرابته ، فإنه لا يملك لهم من الله شيئاً . « يا فاطمة ابنة محمد ،

يا صفية ابنة عبد المطلب ، يا بنى عبد المطلب ، لا أملك لكم من الله شيئاً . سلونى من ما لى ما شتم .

ولحفظ كيان الأسرة المسلمة وصونا للمجتمع تأتى توجيهات للنساء المؤمنات بأن يرتدين ثياب الحشمة والوقار ، وعدم التبرج ، وأن يلزمن طاعة الله ورسوله ، ويشير صاحب الظلال لأمر جدير بالتنبيه وهو : « من هن اللواتى يحذرهن الله هذا التحذير إنهن أزواج النبی ﷺ وأمهات المؤمنين اللواتى لا يطمع فيهن طامع ، وفى أى عهد ؟ فى عهد النبی ﷺ .

فى عهد الصفوة المختارة من البشرية فى جميع الأعصار ، ولكن الله الذى خلق الرجال والنساء يعلم أن فى صوت المرأة حين تخضع بالقول ، وتترق فى اللفظ ما يثير الطمع فى قلوب ضعفاء الإيثار ، ويهيج الفتنة فى كل بيته ، وتجاه كل امرأة ، ولو كانت هى زوج النبی الكريم .

فكيف بهذا المجتمع الذى نعيش فيه ، فى عصرنا المريض الدنس الهابط الذى تهيج فيه الفتن ، وتثور فيه الشهوات .

ثم تواصل الآيات الإرشاد القرآنى للمؤمنات بأن يمكن فى بيوتهن ، وهى أعظم مهمة للمرأة وهو لتربية أولادها والعناية بزوجها ، وتلك مهمة تقوم بها الأم المتفرغة ، أما الأم المرمقة المكدودة المقيدة بالعمل ومواعيده ، لا تستطيع أن تقوم بها تقوم به المرأة المتفرغة .

وعن تبرج الجاهلية الأولى يقول ابن كثير : « كانت المرأة منهم تمر بين الرجال مسفحة صدرها لا يواريه شئ ، وربما أظهرت عنقها وشعرها وأقرطة آذانها ، فأمر الله المؤمنات أن يستترن فى هيئاتهن وأحوالهن .

ويذكر السياق القرآنى الزاد الذى تستعين به المرأة المؤمنة لتنفيذ أوامر الله وأحكامه وتشريعاته وهو العبادة من صلاة وزكاة وطاعة للرسول ﷺ ويقول صاحب الظلال : « وعبادة الله ليست بمعزل عن السلوك الاجتماعى أو الأخلاقى فى الحياة ، إنما هى الطريق للارتفاع إلى ذلك المستوى ، والزاد الذى يقطع به السالك الطريق ، فلا بد من صلة بالله يأتى منها المدد والزاد ، ولا بد من صلة بالله تطهر القلب وتزكيه ، ولا بد من صلة بالله يرتفع بها الفرد على عرف الناس وتقاليده المجتمع وضغط البيئة .

ثم يمضى السياق القرآنى لبيان عاقبة الأوامر والتوجيهات ، وهى إذهاب الرجس وتطهير البيت ، وهذا هو الإسلام شعور وتقوى فى الضمير ، وسلوك وعمل فى الحياة ، يتم بهما معاً تمام الإسلام ، وتحقق بهما أهدافه وانجهاته فى الحياة .

ثم يُذكر النص القرآنى بنعمة الله على المؤمنات كما يوضح ذلك الإمام الشوكانى : « أى اذكرن موضع النعمة إذ صيركن الله فى بيوت يُتلى فيها آيات الله والحكمة ، أو اذكرنها وتفكرن فيها ليتعظن بمواعظ الله » .

وهذا التذكير كما يقول صاحب الظلال : « يجرى في ختام الخطاب الذى بدأ بتخيير نساء النبى ﷺ بين متاع الحياة الدنيا وزينتها ، وإيثار الله ورسوله والدار الآخرة فتبدو جزالة النعمة التى ميزهن الله بها » .

لقد جاء القرآن ليحدد القيم الأساسية في تصور الإسلام للحياة ، هذه القيم التى ينبغى أن تجد ترجمتها الحية في بيت النبى ﷺ وحياته الخاصة وأن تتحقق في أدق صورها وأوضحها في هذا البيت الذى كان وسيبقى منارة للمسلمين وللإسلام حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ونزلت آيتا التخيير لتحديدان الطريق فإما الحياة الدنيا وزينتها وإما الله ورسوله والدار الآخرة ، فالقلب الواحد لا يسع تصورين للحياة وما جعل الله لرجل من قليلين في جوفه .

ونحب أن نقف لحظات أمام هذا الحادث نتدبره من بعض زواياه ، إنه يحدد التصور الإسلامى الواضح للقيم ، ويرسم الطريق الشعورى للإحساس بالدنيا والآخرة ويحسم في القلب المسلم كل أرجحة وكل لجلجة بين قيم الدنيا وقيم الآخرة بين الاتجاه إلى الأرض والاتجاه إلى السماء ، ويخلص هذا القلب من كل وشيجة غريبة تحول بينه وبين التجرد والخلوص له وحده دوان سواه .

وفي حادث التخيير نقف أمام الرغبة الطبيعية في نفوس نساء النبى ﷺ في المتاع ، كما نقف أمام صورة الحياة البيتية للنبي ﷺ ونسائه رضى الله عنهن ، وهن أزواج يراجعن زوجهن في أمر النفقة فيؤذيه هذا ، ولكن لا يقبل من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أن يضربا عائشة وحفصة على هذه المراجعة .

فالمسألة مسألة مشاعر وميول بشرية تصفى وترفع ولكنها لا تخمد ولا تكبت ، ويظل الأمر كذلك حتى يأتيه أمر الله بتخيير نسائه فيخترن الله ورسوله والدار الآخرة اختياراً لا إكراه فيه ولا كبت ولا ضغط ، فيفرح قلب رسول الله ﷺ بارتفاع قلوب أزواجه إلى هذا الأفق السامى الوضىء .

ثم يأتى النص القرآنى بذكر صفات يجب أن تتحقق في الجماعة المؤمنة رجالها ونسائها ، وتذكر المرأة في الآية بجانب الرجل كطرف من عمل الإسلام في رفع قيمة المرأة .
ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن يكون الدعاة قدوة طيبة لغيرهم .

٢ - المسؤولية الفردية على الأعمال في الحساب أمام الله ، ولن ينفع أحد غيره .

٣ - العناية الشديدة بالفتاة المسلمة بتوجيهها في ملبسها وتعليمها وتذكيرها بالله تعالى .

معاني الكلمات :

قضى : حكم .

وطراً : حاجة .

حرج : إثم .

قدراً مقدوراً : قضاء نافذا .

بكرة وأصيلاً : أول النهار وآخره .

يصلى : يرحمكم .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن يعرف المسلم جانباً من قصة زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش ، وإبطال التبنى .

٢ - أن يشعر المسلم بفضل الله في تشريعاته بإبطال التبنى .

٣ - أن يأمر المسلم بالمعروف وينهى عن المنكر ، وألا يباهى بمن يقف في طريق دعوة الحق .

المحتوى التربوي :

تمضى الآيات القرآنية في ذكر مقوم من مقومات العقيدة هو التسليم لقضاء الله ، وأن المؤمنين ليس لهم من أنفسهم شيء ؛ لأنهم لا يعرفون الرواية الكاملة ، فهم أجزاء هذا الكون الذى قدره الله ، وعند التسليم لله في كل أمر ترضى النفوس بكل شيء قدره الله بنفس مطمئنة ، تستقبل قدر الله استقبال العارف المنتظر المرتقب لأمر مألوف في حسه .

ومع الاستسلام لله عز وجل بأن المؤمنين يعملون ما يقدرون عليه ، وبذلون ما يملكون كله ، ولا يضيعون وقتاً ولا جهداً ، ولا يتركون حيلة ولا وسيلة .

وهذا التوازن بين الاستسلام المطلق بقدر الله ، والعمل الجاهد بكل ما فى الطاقة ، والوقوف المطمئن عند ما يستطيعون . . هذا التوازن هو السمة التى طبعت حياة تلك المجموعة وميزتها .

ثم يمضى النسق القرآنى ليوضح حادث زواج النبى ﷺ من زينب بنت جحش زوج زيد بن حارثة وتزوجها الرسول ﷺ بعد طلاقها من زيد وذلك لإبطال نظام التبني ، وكان لهذا النظام آثار واقعية فى حياة الجماعة العربية ، ولم يكن إبطال هذه الآثار الواقعية فى حياة المجتمع ليمضى بالسهولة التى يمضى بها إبطال تقليد النبى ، فالتقاليد الاجتماعية أعمق أثراً فى النفوس .

إن الآيات تشير إلى توجيه هام فى حياة الفرد والمجتمع المسلم وهو أن يوجه المسلم حياته وأمور مجتمعه على نظم الإسلام وأحكامه وتشريعاته ، من توجيه المجتمع حسب لذاتنا وأهوائنا فهو الضلال والخسران المبين .

ثم تواصل الآيات ذكر قصة تطليق زيد لزينب ، وطلب النبى ﷺ أن يمسك عليه زوجته مع أن الله ألهم النبى ﷺ أنه سيتزوجها ، بل إن زواجه من زينب أمر من الله ومواجهة التقاليد الجاهلية الراسخة الثابتة .

كانت هذه المواجهة كما يقول صاحب الظلال : « كانت هذه إحدى ضرائب الرسالة الباهظة حملها رسول الله ﷺ فيما حل ، وواجه بها المجتمع الكاره لها كل الكراهية ، حتى يتردد فى مواجهته بها ، وهو الذى لم يتردد فى مواجهته بعقيدة التوحيد ، وذم الآلهة والشركاء وتخطئة الآباء والأجداد » .

وتأتى الآيات لتذكر صفة أساسية فى الرسل وأصحاب الدعوات وهى أنهم لا يخشون إلا الله ، ولا يبالون بقول الناس ، ولا يحسبون للخلق حساباً ، ذلك أن الرسل يأتون فى أوقات فسد فيها حال الناس ، وحادث عن الصراط المستقيم ، فيواجهون الناس بانحرافاتهم ، ويبلغونهم رسالات ربهم ويلخص ذلك صاحب الأساس فى قوله : « دلت الآية على أن أحداً لا يستطيع أن يقوم بأعباء البلاغ كاملة إلا من خلا قلبه من خشية البشر » .

ثم تواصل الآيات ذكر قصة زواج النبى ﷺ من زينب بنت جحش وإبطال التبني ، يقول صاحب الأساس : جاءت قصة زينب رضى الله عنها فى سياق المقطع الثالث فأدت مجموعة معانٍ فى ملحها :

١ - أرتنا أن زواج الرسول ﷺ مسألة يتدخل فيها الله عز وجل تدخلاً مباشراً ، ومن ثم فإن هذا درس لنساء الرسول ﷺ في معرفة ذلك ودرس للمؤمنين فيعطوا هذا الموضوع حقه من الفهم والعلم والاحترام والتوقير ، وهذا أول مظاهر ارتباط الآيات الأخيرة بمقطعها .

٢ - أرتنا الآيات حكمة زواج الرسول ﷺ بزینب ، وفي ذلك درس أن رسول الله ﷺ إذا تزوج فإنه يفعل ذلك لحكمة ، وهذا يقتضى من أزواجه أدبا ومن المؤمنين معرفة وأدبا وتسليماً

٣ - تعطينا هذه الآيات نموذجاً من نماذج التربية الربانية لرسول الله ﷺ في سياق السورة المدعوة بالأمر بالتقوى والاتباع ورفض طاعة الكافرين والمنافقين والتوكل ، فترينا موضوعاً تطبيقياً لكيفية أن أمر الله فيه المصلحة الخالصة الكاملة ومن ثم فلا ينبغي لأحد أن يتلأأ عنه مهما كانت الضغوط الاجتماعية الكافرة والمنافقة العنيفة .

٤ - كما تعطينا الآيات دروساً في الإيثار والإسلام والمواصفات العليا للمسلم الكامل الذى مرت مواصفاته في آية : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ كما تعطينا درساً عملياً في مواقف المسلمين الكاملين في التسليم في كل حال والطاعة في كل حال والصبر على كل حال .

فمكانة النبي ﷺ في مقام عظيم فهو رسول الله ، وهو خاتم النبيين ، وذلك لأن النبي ﷺ في مقام القدرة في جميع أقواله وأفعاله وأحواله ، في ليله ونهاره ، وحضره ، وسره وعلانيته .

ثم تواصل التوجيهات القرآنية للمؤمنين لذكر الله ، وذكر الله اتصال القلب ، والاشتغال بمراقبته ، وليس المقصود بالذكر الصلاة فقط ، بل يشمل كل صورة يتذكر فيها العبد ربه ، ويتصل به قلبه سواء جهر بلسانه بهذا الذكر أم لم يجهر ، وإن القلب ليظل فارغاً أو لاهياً أو حائراً حتى يتصل بالله ويذكره ويأنس به .

إن ذكر الجزاء دافع على العمل ؛ لذا فقد وعد الله الذاكرين بالخير في الملاء الأعلى بالرحمة والمغفرة لهم كما يقول رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى : من ذكرنى في نفسه ذكرته في نفسى ، ومن ذكرنى في ملاء ذكرته في ملاء خير منه » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - نبذ العادات غير الإسلامية ، وتوطين المؤمن على أوامر الشرع .

٢ - الحكمة في عرض قضايا الدين وتوضيح جانب الخير في اتباع أوامر الله ، والعاقبة الوخيمة من اتباع أوامر الله ، والعاقبة الوخيمة من اتباع الضلالة .

٣ - وجوب ذكر الله دائماً كثيراً ليل نهار .

معاني الكلمات :

سراجا منيراً : مصباحاً مضيئاً .

تمسوهن : تدخلوا بهن .

سرحوهن : طلقوهن .

آتيت أجورهن : أعطيت مهورهن .

أفاء الله عليك : أعطاه إياك .

يستنكحها . يتزوجها .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن يعرف المسلم كيفية تعامل الدعاة مع أقوامهم .

٢ - أن يشعر المؤمن بالتبعية الملقاة عليه في تبليغ دعوة الله .

٣ - أن يبلغ المسلم دعوة ربه ما استطاع .

المحتوى التربوي :

تواصل الآيات ذكر فضل الله على المؤمنين الذين اجتهدوا في الطاعة، يلقون الحفاوة من رب العالمين بقوله تعالى لهم : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ هو سلام من كل خوف ، من كل تعب ، من كل كد ، بجانب الجزاء الكريم المُعد للمؤمنين .

وأما النبي الذي يبلغهم اختيار الله لهم ، ويحقق بسنته العملية ما اختاره الله وشرعه للعباد ، فالتفت السياق إلى بيان وظيفته وفضله على المؤمنين في هذا المقام .

قد لاحظ صاحب الأساس عدة فوائد في قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ .

١ - قال ابن كثير : روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ يَتَّخِذُ النَّبِيُّ إِنْآ أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ وقد كان أمر عليًا ومعاذًا رضى الله عنهما أن يسيرا إلى اليمن فقال : « انطلقا فبشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا ، إنه قد أنزل على : ﴿ يَتَّخِذُ النَّبِيُّ ﴾ ورواه الطبراني بإسناده مثله وقال في آخره : « فإنه قد أنزل على يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً على أمتك ومبشراً بالجنة ونذيراً من النار وداعياً إلى شهادة أن لا إله إلا الله بإذنه وسراجاً منيراً بالقرآن » .

٢ - حددت الآيات مهمة رسول الله ﷺ وهي الشهادة والتبشير والإنذار والدعوة إلى الله ، وينبغي لوارث رسول الله ﷺ أن يكون لهم حظ من ذلك كله .

ثم يأتي السياق القرآني ببيان وظيفة النبي ﷺ أن يكون شاهداً على المؤمنين مبشراً بإيهم بالجزاء الجزيل إن أطاعوا ، ومنذراً بإيهم بالعقاب الأليم إن عصوا ، بل هو داعٍ إلى الله وهنا يبرز سمو الرسالة كما يقول صاحب الظلال : « لا إلى دنيا ولا إلى مجد ، ولا إلى عزة قومية ، ولا إلى عصبية جاهلية ، ولا إلى مغنم ، ولا إلى سلطان أو جاه ، ولكن داعياً إلى في طريق واحد يصل إلى الله ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾ فما هو بمبتدع ولا بمتطوع ولا بقاتل من عنده شيئاً ، لإنها هو إذن الله له ، وأمره لا يتعداه ﴿ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ يجلو الظلمات ، ويكشف الشبهات ، وينير الطريق ، نوراً هادئاً هادياً كالسراج المنير في الظلمات .

وهكذا كان رسول الله ﷺ وما جاء به من النور ، جاء بالتصور الواضح البين النير لهذا الوجود ، ولعلاقة الوجود الخالق ، ولمكان الكائن الإنساني من هذا الوجود وخالقه ، وللقيم التي يقوم عليها الوجود كله ، ويقوم عليها وجود هذا الإنسان فيه ، وللمنشأ والمصير ، والهدف والغاية ، والطريق والوسيلة ، في قول فصل لا شبهة فيه ولا غموض » .

يقول صاحب الأساس : « يستدل بعضهم بقوله تعالى : ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾ على أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى إذن خاص ، وأقول : إن رسول الله ﷺ قد أذن عاماً لكل مسلم ، بل أمر كل مسلم أن يدعو إلى الله ضمن إمكانياته ، قال عليه الصلاة والسلام : « بلغوا عني ولو آية » .

ثم يأتي النهي عن اتباع الكافرين والمنافقين ، والاعتصام بحبل الله ، والإعراض عن إيذاء هؤلاء الكافرين والمنافقين ، وأن يتوكل المؤمن على الله حسبه ، فهو كفيل بنصر المؤمن وهو الذي وعدهم نصره ، وبشرهم بذلك ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (الصافات : ١٧٣) .

ثم تمضي الآيات لبيان بعض التشريعات الإسلامية ولإثبات أن الإسلام منهج حياة لجميع البشر لم يترك جانباً من الأمور إلا وطرقه ، بل إن في هذه التشريعات أحكاماً خاصة بالرسول

محمد ﷺ دون سواء لتكون حياة هذا البيت صفحة معروضة للأجيال ، فضمنها هذا القرآن الباقي ، المتلو في كل زمان ومكان ، وهو في الوقت نفسه تكريم الله - سبحانه - لهذا البيت الذى يتولى بذاته العلية أمره ، ويعرضه للبشرية كافة في قرآنه الخالد على الزمان .

فقد مضت الآيات تذكر حُكْم المطلقة قبل الدخول وأنه ليس عليها عدة ؛ لأن العدة شرعت لاستبراء الرحم من الحمل والتأكد من أنها خالية من آثار الزواج السابق؛ كي لا تختلط الأنساب، ولا ينسب إلى رجل ما ليس منه ، ثم لإكرام المرأة تأخذ نصف المهر إن كان هناك مهر مسمى ، وإن لم يكن فمتاع مطلق يتبع حال الزوج المالية، ثم يأتى بالتطليق طلاقاً جميلاً لا عضل فيها ولا أذى ، ولا تعنت ، ولا رغبة في تعويقهن عن استئناف حياة جديدة .

وإن عناية الإسلام بالمرأة وتفصيل أحكامها ، هو إدراك لخطورة إهمال شأنها ، وما يجز ذلك الإهمال من عواقب الخسارة والوبال على المجتمعات الإسلامية ، بل إن اليهودية العالمية وحلفاءها الصهيونية والماسونية تسعى لاختراق المجتمعات وإفسادها عن طريق الاستغلال السيئ للمرأة وملء الأدمغة بدعاوى التحرير ، والتحريض على ترك تشريعات الإسلام التى تكفل للمرأة حقوقها ، وللمجتمعات استقرارها .

ثم بين الله - عز وجل - لرسوله ﷺ ما يحل له من النساء ، وما في ذلك من خصوصية لشخصه ولأهل بيته ، وأنواع النساء اللاتى أحلن لرسول الله : الأزواج اللواتى أمهرهن ، وما ملكت يمينه إطلاقاً من الفىء ، وبنات عمه ، وبنات عماته ، وبنات خاله ، وبنات خالاته ممن هاجرن معه دون غيرهن ممن لم يهاجرن ، وكذلك أيما امرأة وهبت نفسها للنبيّ بلا مهر ولا ولّى - إن أراد النبيّ نكاحها .

ويلمح الدكتور محمد أبو شهبة جانب القدوة في ذلك فيقول : « وإن الإنسان ليعجب كيف وفق النبي ﷺ بين هؤلاء التسع وهن مختلفات في السن والطباع والأخلاق والمشارب ، ولكن النبيّ بسعة عقله ، ورحابه صدره ، وكرم أخلاقه أمكنه أن يحسن عشرتهن ، ويعدل بينهن ، وأن يوفق بين رغباتهن ، وإنها لبطولة حقاً أن يكون عنده هذا العدد من الزوجات ، ويقوم بأعباء الرسالة ، وتكوين خير أمة » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - ضمان تبليغ الرسالة هو الصبر على طاعة الله عز وجل ، وعدم موالاته الكفار والمنافقين .

٢ - العناية بشأن المرأة المسلمة .

معانى الكلمات :

ترجى : تودى .

تؤوى : تضم إليك .

تقر أعينهن : تطيب أنفسهن .

رقيا : حفيظاً ومطلعا .

غير ناظرين إناه : غير منتظرين نضجه .

فيستحى : أى لا يخرجكم من بيوته حياء منكم .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يعلم المسلم بعض الآداب الإسلامية عن دخول بيوت الآخرين .
- ٢ - أن يشعر المسلم بعظمة التشريعات الإسلامية .
- ٣ - أن يلتزم آداب الإسلام في بيته وفي بيوت الآخرين .

المحتوى التربوى :

تواصل الآيات ذكر ما يتعلق بالأحكام الخاصة في بيته ﷺ ، وقد لخص ذلك الإمام النسفى في تفسير قوله : ﴿ تَرْجَى مَن تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ﴾ ، أى تطلق من تشاء ، وتمسك من تشاء أو لا تقسم لأيتهن ، وتقسم لمن شئت ، أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك ، وتزوج من شئت ، وهذه كله قبل نسخ ذلك الحكم بالآية التالية وهو قوله تعالى : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِن بَعْدِ ﴾ ، وصفة أحكام الله أنها تنزل حسب الوقائع والأحكام وعلى المؤمن أن يذعن وينخضع لأوامر الله فيها النفع ويتجنب نواهيها فيها الضرر .

يرى صاحب الظلال في قوله تعالى : ﴿ لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ﴾ : « أن الاتجاه الرئيسي في الآية أنها منسوخة ، إلا أن هناك اتجاهاً في الفهم يوجه الآية بما يجمع بين الآيات بلا نسخ ، وقد ذكر ابن كثير أدلة القائلين بالنسخ وأقوال أخرى بعدم النسخ » .

إن القول بالنسخ هو ردُّ على المعاندين والمتطاولين على رسول الله ﷺ بأن الرسول ﷺ أبيح له ما حرم على أمته من تقييد الجمع بين أكثر من أربع زوجات ، فإن الرسول قد منع من الزواج بعد زوجاته التسع حتى لو طلق إحداهن أو بعضهن أو كلهن ، أما المسلم فله أن يتزوج إذا طلق من زوجاته الأربع إحداهن أو بعضهن أو كلهن بشرط تقييد العدد بأربع زوجات .

ثم جاء القرآن ينظم علاقة المسلمين ببيوت النبي ﷺ وتتضمنت الإشارة إلى آداب لم تكن في الحياة الجاهلية ، فقد أنكر القرآن على بعضهم دخول البيوت بغير إذن ، وبعضهم كان يدخل ، وحين يرى طعاماً يوقد عليه يجلس في انتظار هذا الطعام ، وبعضهم يجلس بعد الطعام ، وأتى الإسلام لتقرير آداب ، وتنظيم المجتمع المسلم وحفظ عوراته وعدم تبديد أوقاته وأوقات الآخرين ، ومحاربة تبلد الإحساس والكسل والتواكل ، بل جعل المجتمع كله في حركة مستمرة دائبة .

في الآيات نلمح جوانب القدوة في حياة الرسول ﷺ ، والحكمة من كونه ﷺ بشراً ، وهو حياؤه من أضيافه الذين طال جلوسهم ، لكن الله عز وجل غار لرسوله ، وأرشد المؤمنين إلى الآداب التي يجب أن يتبعوها في بيوت النبي ﷺ وبيوت المؤمنين .

وتواصل الآية ذكر الواجب اتباعه عند مخاطبة نساء النبي ونساء المؤمنين وهو الحجاب ، وذلك أظهر لقلوب الجميع وقلوب المسلمين وقلوب أمهات المؤمنين ، وذلك ما يقوله الله عز وجل وهو العليم بالقلوب ، وذلك رد على المدعين والمستغربين الذين يقولون ، كما يذكر صاحب الظلال : « أن الاختلاط ، وإزالة الحجب ، والترخص في الحديث واللقاء والجلوس والمشاركة بين الجنسين أظهر للقلوب ، وأعف للضمائر ، وأعون على تصريف الغريزة المكبوتة ، وعلى إشعار الجنسين بالأدب وترقيق المشاعر والسلوك .. إلى آخر ما يقوله نفر من خلق الله الضعاف المهازيل الجهال المحجوبين . - يقولون هذا - ويقول الله عن نساء النبي الطاهرات أمهات المؤمنين - وعن رجال الصدر الأول من صحابة رسول الله ﷺ . ممن لا تتطاول إليهن وإليهم الأعناق وحين يقول الله قولاً ، ويقول خلق من خلقه قولاً ، فالقول لله - سبحانه - وكل قول آخر هراء ، لا يردده إلا من يجرؤ على القول بأن العبيد الفانين أعلم بالنفس البشرية من الخالق الباقي الذي خلق هؤلاء العبيد .

والواقع العملى الملموس يهتف بصدق الله ، وكذب المدعين غير ما يقوله ، والتجارب المعروضة اليوم فى العالم مصدقة لما نقول .

مما يذكر أن عمر ؓ بحساسيته المرفهة كان يقترح على النبى ﷺ الحجاب ، وكان يتمناه على ربه ، حتى نزل القرآن الكريم مصدقا لاقتراحه مجيئاً لحساسيته ، وهذا يدل على أن الفطرة السليمة قد يلهمها الله بصيرة تدرك أحكاما ربانية .

وجاءت هذه الآية تعلم الناس ألا يخلوا بيوت النبى بغير إذن فإذا دعوا إلى الطعام دخلوا فأما إذا لم يدعوا فلا يدخلون يرتقبون نضجه ! ثم إذا طعموا خرجوا ولم يبقوا بعد الطعام للسمر والأخذ بأطراف الحديث ، وما أوحج المسلمين اليوم إلى هذا الأدب الذى يجلفيه الكثيرون ، فإن المدعوين إلى الطعام يتخلفون بعده ، بل إنهم ليتخلفون على المائدة ويطول بهم الحديث ، وأهل البيت الذين يحتفظون ببقية من أمر الإسلام بالاحتجاب متأذون محتسبون والأضياف ماضون فى حديثهم وفى سمرهم لا يشعرون وفى الأدب الإسلامى غناء وكفاء لكل حالة لو كنا نأخذ بهذا الأدب الإلهى القويم .

قال القاسمى : « وَلَكِنْ » استدراك من النهى عن الدخول مع الإذن المطلق الذى هو الدعوة بتعليم أدب آخر ، وإفادة شرط مهم ، وهو الإشارة إلى أن للدعوة حيناً ووقتاً يجب أن يراعى زمنه ، وهذا المنهى عنه لم يزل يرتكبه ثقلاء القرويين ، ومن شاكلهم من غلطاء المدنيين الذين لم يتأدبوا بأداب الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، وهو أنهم إذا دعوا لتناول طعام يتعجلون المجيء قبل وقته بساعات ، مما يغم نفس الداعى وأهله ، ويذهب لهم جانباً من عزيز وقتهم عبثاً إلا فى سماع حديثهم البارد ، وخدمتهم المستكرهة .. فعلى ما ذكرناه يكون فى الآية فائدة جميلة وحكم مهم ، وهو حظر المجيء قبل الوقت المقدر .

ونلاحظ أمر الله بتقواه ؛ لأنه المطلع على السد والعلن ، فمراقبة الله فى كل أمر ، واستحضار تلك المراقبة بمنع الإنسان من الوقوع فى الإثم .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - الالتزام بالأداب الإسلامية فى دخول البيوت .
- ٢ - الحرص على وقت المسلم وعدم تضييع أوقات الآخرين .
- ٣ - الالتزام بتجنب مواضيع الريبة والشك .
- ٤ - استحضار مراقبة الله فى كل أموره .

معاني الكلمات :

لا جناح : إثم .

لعنهم الله : طردهم .

بغير ما اكتسبوا : بغير جناية .

بهتاناً : افتراء .

إنما مبينا : ذنبا ظاهراً .

يدين : يرخين .

المرجعون في المدينة : الذين ينشرون

الشائعات الكاذبة .

لنغرينك : لنسلطنك .

أينما ثقفوا : أى مكان وجدوا .

الذين خلوا : الأمم الماضية .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن يعلم المسلم فرضية الحجاب ، وصفاته الشرعية .

٢ - أن يشعر المسلم بعظمة التشريعات الإسلامية في شأن الأسرة والمرأة .

٣ - أن يطبق المسلم تشريعات الإسلام على أهل بيته .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق القرآنى فى ذكر محارم المرأة ، وهناك آية أعم ذكرت محارم المرأة فى سورة النور ، ويقرن ذكر محارم المرأة بتقوى الله ، والإيماء بالتقوى ، ومراقبة الله يُطرد فى مثل هذه المواضع ؛ لأن التقوى هى الضمان الأول والأخير ، وهى الرقيب اليقظ الساهر على القلوب .

ويستمر السياق فى تحذير الذين يؤذون النبى ﷺ فى نفسه أو أهله ، وفى تفضيع الفعلة التى يقدمون عليها ، وذلك عن طريقين : الطريق الأولى : تمجيد رسول الله ﷺ وبيان مكانته عند ربه وفى الملأ الأعلى ، والطريق الثانية تقرير أن إيذاء الله سبحانه ، وجزاؤه عند الله الطرد من رحمته فى الدنيا والآخرة .

يقول صاحب الظلال : « وصلاة الله على النبي ذكره بالثناء في الملأ الأعلى ، وصلاة ملائكته دعاؤهم له عند الله سبحانه وتعالى ، ويا لها من مرتبة سنية حيث تردد جنات الوجود ثناء الله على نبيه ويشرق به الكون كله وتتجاوب به أرجاؤه ، ويثبت في كيانه الوجود ذلك الثناء الأزلى القديم الأبدى الباقي وما من نعمة ولا تكريم بعد هذه النعمة وهذا التكريم وأين تذهب صلاة البشر وتسليمهم بعد صلاة الله العلى وتسليمه ، وصلاة الملائكة في الملأ الأعلى وتسليمهم ، إنها يشاء الله تشريف المؤمنين بأن يقرن صلاتهم إلى صلاته ، وتسليمهم إلى تسليمه وأن يصلهم عن هذا الطريق بالأفق العلوى الكريم الأزلى القديم . »

في ظل هذا الاحتفاء والتمجيد يبدو إيذاء الناس للنبي ﷺ بشعا شنيعاً ملعوناً قبيحاً ، ويزيد بشاعة وشناعة أنه إيذاء الله من عبده ومخالفه .

ويتوسع التحذير الإلهي بالتحذير من إيذاء المؤمنين والمؤمنات ؛ ذلك لأن إيذاء المؤمنين إيذاء لرسول الله ، يقول رسول الله ﷺ : « الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضاً بعدى ، فمن أحبهم فحببى أحبهم ، ومن أبغضهم فبغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه . »

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ : هذا هو البهت الكبير ، أن يحكى أو ينقل من المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقيص لهم ، ومن أكثر ممن يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله ، ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة .

وقد روى ابن أبى حاتم عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « أى الربا أرى عند الله ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « أرى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم ، ثم قرأ : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ . »

ثم تنتقل الآيات لأمر آخر وهو فرض الحجاب وهو الأمر بارتداء الجلباب ، وقد اختلفت آراء المفسرين في الجلباب وقد سارت الأنصار عقب نزول الآية فاحترمن بها تيسر لهن من الأزر ، وذلك لقوة الإيهان التى توجه العبد لطاعة الله عز وجل وهى قوة محركة لنفس المؤمن .

ثم تأتى الآيات وتحذر المنافقين من الكيد للمؤمنين وكذلك تحذير الذين يشيرون الشائعات في صفوف الجماعة المسلمة ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .

يقول صاحب الأساس : « أعطتنا هذه الآيات مدى واسعاً في تعزيز هذه الأنواع من الناس ، ومن ثم فإننا نحب أن نسجل الملاحظات التالية :

أ- إن الرسول ﷺ لم يلجأ إلى قتل المنافقين مع استحقاقهم ذلك ، حتى لا يقال إن محمداً يقتل أصحابه .

ب- إن الرسول ﷺ بسياسته للمنافقين ، وبحسن معاملته لهم ، وتوجيهه استطاع أن ينقذ الكثيرين منهم من النفاق ويكفي أن نعرف أنه يوم أحد انفصل عن الجيش الإسلامي مع رأس النفاق عبد الله بن أبي أكثر من ثلاثمائة ، بينما أخبرنا حذيفة أن الذين كتب عليهم النفاق ، وليس لهم عنه منكص آحاد » .

إن التعامل مع المنافقين يترك أمره للقيادة الراشدة خاصة أنه يختلف حسب حال الجماعة المسلمة ، فهم - أى - المنافقون لا يظهرون حين تكون الدعوة مستضعفة ، أما في حال قوة الدولة المسلمة فهم يظهرون وهم يكيدون المؤمنين .

يقول صاحب الأساس : « قد يقول قائل هذه الآيات خاصة برسول الله ﷺ وله وحده حق الأخذ بها أقول : إن قوله تعالى : ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا ﴾ أخرج المسألة عن كونها خصوصية من خصوصيات رسول الله ﷺ ، صحيح أن النفاق غيب ، ولكن مواصفاته معروفة لنا » .

وفي النهاية يأتي تهديد المنافقين ومرضى القلوب والمرجفين الذين ينشرون الشائعات المزلة في صفوف الجماعة المسلمة .. تهديدهم القوى الحاسم بأنهم إذا لم يرتدعوا عما يأتونه من هذا كله وينتهوا عن إيذاء المؤمنين والمؤمنان والجماعة المسلمة كلها أن يسلط الله عليهم نبيه كما سلطه على اليهود من قبل ، فيظهر منهم جو المدينة ويطارهم من الأرض ويبيع دمهم فحيثما وجدوا أخذوا وقتلوا كما جرت سنة الله فيمن قبلهم من اليهود على يد النبي ﷺ وغير اليهود من المفسدين في الأرض في القرون الخالية .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ - الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ .

٢ - استشعار فضل صحابة رسول الله ﷺ .

٣ - تطبيق الحجاب على نساء المؤمنين .

معاني الكلمات :

سعيراً : ناراً موقدة .

وليا : حافظاً .

آثم ضعفين : عذبهم عذابين .

وجيها : صاحب مكانة عالية .

أبين : امتنع .

أشفقن : خفن من الخيانة .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يعلم عواقب تقليد الكافرين والمنافقين .
- ٢ - أن يشعر المسلم بقبح المعصية وسوء عاقبتها .
- ٣ - أن يجتهد المؤمن في عبادته وطاعته لربه اقتداء بالمؤمنين .

المحتوى التربوي :

تبدأ الآيات بإيراد تساؤل الناس عن الساعة ، واستعجالهم بها ، ويحمل هذا الاستعجال معنى الشك فيها ، أو التكذيب بها ، والساعة غيب قد اختص به الله - سبحانه - ولم يشأ أن يطلع عليه أحداً من خلقه جميعاً بما فيهم الرسل والملائكة المقربون .

ويشير صاحب الظلال لحكمة إخفاء موعد الساعة بقوله : « قدر الله هذا لحكمة يعلمها ، نلمح طرفاً منها ، في ترك الناس على حذر من أمرها ، وفي توقع دائم لها ، وفي استعداد مستمر لفجأتها ذلك لمن أراد الله له الخير ، وأودع قلبه التقوى ، فأما الذين يغفلون عن الساعة ، ولا يعيشون في كل لحظة على أهبة للقاءها ، فأولئك الذين يختانون أنفسهم ، ولا يقونها من النار ،

وقد بين لهم وحذرهم وأنذرهم ، وجعل الساعة غيباً مجهولاً متوقفاً فى أى لحظة من لحظات الليل والنهار .

ثم يعرض النسق القرآنى صورة للكفار يوم القيامة وهم يعذبون فى ذلك اليوم الذى يستعجلون مقدمه ، ويعرض فيه ندمهم وحسرتهم وغضب الله عليهم ، وتبرؤ الأنبا؁ من متبوعيهم ، وهم كما يقول الإمام الشوكانى : « المقصود هم الرؤساء والقادة الذين كانوا يمثلون أمرهم فى الدنيا ، ويقتدون بهم ، وفى هذا زجر عن التقليد الشديد ، وكم فى الكتاب العزيز من التنبيه على هذا ، والتحذير منه والتنفير عنه ، ولكن لمن يفهم معنى كلام الله ويقتدى به ، وينصف من نفسه ...

فى قوله تعالى : ﴿ تَقْلَبُ وَجُوهُهُمْ فِى النَّارِ ﴾ يقول الإمام الفخر الرازى : لما بين أنه لا شفيع لهم يدفع عنهم العذاب بين أن بعض أعضائهم أيضا لا يدفع العذاب عن البعض بخلاف عذاب الدنيا . فإن الإنسان يدفع عن وجهه الضربة اتقاء بيده ، فإن من يقصد رأسه ووجهه تجده يجعل يده جنة أو يطأطأ رأسه كى لا يصيب وجهه ، وفى الآخرة ﴿ تَقْلَبُ وَجُوهُهُمْ فِى النَّارِ ﴾ فما ظنك بسائر أعضائهم التى تجعل جنة للوجه ووقاية لهم ؟ !!

ثم تنقل الآيات بخطاب المؤمنين وألا يكونوا كالذين آدوا نبى الله موسى عليه السلام ؛ لأن الله حافظ دينه ونبيه من الافتراءات فقد برأ الله عز وجل موسى عليه السلام وشرفه فلا يبعد أن يشرف نبيه محمداً ، وهو أكرم الخلق على الله - عز وجل .

ويقول صاحب الأساس : « إنه لا أضر على العمل الإسلامى من إيذاء القيادة الإسلامية ؛ لأن أى عمل عام يكتب له نجاح فى العادة بقدر توفر الثقة فى قياداته ، وفى العادة فإن الثقة لا تنتقل إلى الأمة إلا من خلال الصف الإسلامى ، فبقدر ما تحسن القيادات العمل ، وبقدر ما تتوفر الثقة بالقيادات ، فإن الأهداف تكون قابلة للتحقيق ، ومن ثم فإن تحطيم القيادات الإسلامية كارثة محققة ، إلا إذا كانت هذه القيادات غير رشيدة أو غير صالحة » .

وعلى هذا فإن المسلم يجب أن محتاط فى كل كلمة تمس الثقة بين قيادة المسلمين وقاعدتهم وعليه أن يعطى هذا الموضوع أهمية أكبر من أهمية موضوع الغيبة العادية ، إن الغيبة العادية لها إثمها الكبير عند الله حتى إنه : « لا يدخل الجنة قتات » فكيف إذا كان فى هذه الغيبة تدمير لكيان العمل الإسلامى » .

إن عملية البناء عملية صعبة ، وعملية التهديم سهلة ، وإن أخطر ما تصادفه الجماعات أن يتوجه أفرادها إلى التهديم ، فهذا أسهل شىء وأبشعه .

وتستمر الآيات في خطاب المؤمنين لتسديد القول وإحكامه ؛ ولأن الله لا يظلم الناس شيئاً، فيجازيهم بتوجيههم إلى الخير والسادد في كل أمورهم ، وغفران ذنوبهم ، وهذا كما يقول صاحب الظلال : « والاستقامة على نهج الله مريحة مطمئنة ، والاهتداء إلى الطريق المستقيم الواضح الواصل سعادة بذاته ، ولو لم يكن وراءه جزاء سواء ، وليس الذى يسير فى الطريق الممهود المنير ، وكل من حوله يتجاوب كالذى يسير على الطريق المقلقل المظلم ، فطاعة الله ورسوله تحمل جزاءها فى ذاتها ، وهى الفوز العظيم قبل يوم الحساب وقبل الفوز بالنعيم ، أما نعيم الآخرة فهو فضل زائد على جزاء الطاعة ، فضل من كرم الله وفيضه بلا مقابل ، والله يرزق من يشاء بغير حساب » .

قال أبو السعود : « لما بين عظم شأن طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الأليم ، ومثال المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك بيان عظم شأن ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة أمرها .. وعبر عنها بـ « الأمانة » تنبيها على أنها حقوق مرعية أودعها الله تعالى المكلفين ، واتمّنهم عليها وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد ، وأمرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وأدائها من غير إخلال بشيء من حقوقها » .

ثم تمضى الآيات لبيان فضل الله على الإنسان بالإشارة لضعفه ، وإلى ضخامة الأمانة الملقاة على عاتقه ، لكنه تكريم من الله عز وجل ، فليعرف الإنسان مناط تكريمه عند الله ، ولينهض بالأمانة التى اختارها ، والتى عرضت على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها .

ثم ختمت السورة ببيان أن الجزاء من جنس العمل كما يوضح صاحب الظلال : « فاختصاص الإنسان بحمل الأمانة ، وأخذه على عاتقه أن يعرف نفسه، ويهتدى بنفسه، ويعمل بنفسه، ويصل بنفسه؛ ليحتمل عاقبة اختياره، وليكون جزاؤه من عمله، وليحق العذاب على المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - الحذر من المنحرفين والمجرمين والفاسقين .

٢ - اتخاذ المؤمنين الصالحين القدوة الحسنة .

٣ - عدم ترويج الشائعات التى ترمى الخط من القيادة المسلمة .